فاستعبدتهم شهواتهم ؛ كيف لمن «لهم عيون ولا يبصرون ، ولهم آذان ولا يسمعون » — كيف لمثل هؤلاء يا ابن النجار أن يدركوا سموّ حكمتك القائلة : «لا تقاوموا الشرّ» ؟

أنّى لهم أن يفهموا ، مثلما فهمت ، أن الأعمال والأقوال تحبل وتلد ، كما تحبل النساء وتلد . فإن حَبِل الشرُّ بالشر ولد شرّاً . وإن حبل الخير بالخير ولد خيراً . وإن لم يكن للشر ما يحبل به من جنسه انقرض من تلقاء ذاته . فالبغض إذا قوبل ببغض ولد بغضاً . وإن هو قوبل بالمحبة فإما يصاب بالعقم فينقرض نسله ، وإما يتلقح بالمحبة فينقلب محبة . وكذلك الكلمة الصالحة إذا قوبلت بكلمة صالحة ولدت كلمة صالحة . والكلمة الطالحة إذا قوبلت بطالحة ولدت كلمة طالحة .

لو فهم صالبوك ذلك لما صلبوك . لأنّك ، إن كنت شرّاً في اعتقادهم ، فبصلبهم إياك قد زادوا في طينهم بلّة . لقد كنت قبل الصلب تؤنبهم بلسان واحد . إلا أنّك حين سُمّرت على الصليب أصبحتْ كلّ قطرة من دمك لساناً هاتفاً في آذانهم . وكلّ أنّةٍ من صدرك بوقاً صارخاً في مجتمعاتهم . وكلّ شوكة من إكليلك حربة ناشبة في صدورهم . وكل جرح في جسمك قرحة في قلوبهم .

غير أنهم لا يفهمون . لذلك يموجون من حولك مهللين معربدين ضاحكين في قلوبهم وقائلين : «خلّص آخرين وأما